**جامعة تكريت**

**كلية التربية للبنات**

**قسم التاريخ**

**المرحلة : المرحلة الأولى**

**المادة: تاريخ العراق القديم**

**عنوان المحاضرة : اثر الخلفية الجغرافية في نشوء الحضارة العراقية القديمة**

**أسم التدريسي : م د آيات عبد الجبار نصيف**

**الإيميل الجامعي للتدريسي: Aaaut AbdulGabbar@tu edu iq**

**س١ ماهي ابرز العوامل التي ساعدت في نشوء وتطور الحضارة العراقية**

أثر الخلفية الجغرافية في نشوء وتطور الحضارة العراقية القديمة

يؤكد هذا الاستعراض الموجز لاهم العوامل الجغرافية في العراق مدى تأثير هذه العوامل في نشوء وتطور الحضارة العراقية القديمة وطبعها بطابع خاص مميز غير ان ذلك لا يعني أن الخلفية الجغرافية كان لها الدور الأول والأساس في نشوء وتطور الحضارة بل لابد من التأكيد ثانية أن العامل الفاعل والأساس في نشوء الحضارات بصورة عامة وتطورها كان ومازال هو الانسان العل دور الانسان العراقي القديم في وضع الأسس التي قات عليها حضارته الأصيلة كان اكبر واعمق اثراً من غيره في المناطق الأخرى نظراً لما امتازت به طبيعة ارض الرافدين الجغرافية، لاسيما قسمها الجنوبي، من عنف وقسوة وتباين لها التضاريس والمناخ من منطقة الى اخرى حتى يصعب استغلالها وتسخيرها لخدمة الانسان مما دفع الى بذل المزيد من الجهود والعمل المثابر الدؤوب ، بل ان حياة الانسان في العراق القديم كانت صراعاً طويلاً وعنيفاً مع الطبيعة، كما تعكس ذلك قصصه وأساطيره ، وكانت الغلبة في النهاية للانسان، وكان من نتائج ذلك الصراع والتفاعل مع الطبيعة حضارة العراق الاصيلة.

ومن الممكن للباحث ان يتلمس مواطن تأثير العوامل الجغرافية والبيئة الطبيعية في حضارة العراق القديمة في الجوانب الآتية :

**١ – في التركيب السكاني :**

يقع العراق الغني بموارده الزراعية والمائية ، ولا سيما سهله الرسولي ، بين منطقتين متشابهتين من حيث افتقارهما للموارد الطبيعية نسبيا على الرغم من اختلافها البين في المناخ والتضاريس، الأولى هي المنطقة الجبلية في أطراف العراق الشمالية والشمالية الشرقية والثانية البوادي الصحراوية في الأطراف الغربية والجنوبية الغربية، وبين هاتين

المنطقتين يمتد السهل الرسوبي اقليماً مفتوحاً لا يفصله عنها أي حاجز طبيعي ، باستثناء نهر دجلة بالنسبة للمنطقة الجبلية وتهر الفرات بالنسبة للمنطقة الصحراوية، وهكذا تتابعت هجرة الأقوام الجزرية القادمة من الغرب والشمال الغربي والأقوام الهندية – الأوربية القادمة من الشرق والشمال الشرقي على مر العصور، وكانت الهجرات الجزرية على نطاق واسع درجة انها كونت في نهاية الأمر الجزء الأعظم من سكان العراق في حين تغلغلت بعض الاقوام الهندية – الأوربية واستقرت بين السكان في اثناء الغزو الذي تعرض له العراق من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية وكان لذلك اثر كبير وواضح في التركيب السكاني في العراق .

**٢- في نشوء أول انظمة الحكم :**

يعد العراق من البلدان الغنية جداً بمياهها العذبة وتربتها الخصية مما ساعد على توجه سكانه منذ أقدم العصور نحو الزراعة في اراضي العراق التي تشقها انهار عدة ، ففضلاً عن النهرين الرئيسين دجلة والفرات اللذين يمتدان على طول أراضي القطر ويجريان من الشمال الى الجنوب هنالك روافد دجلة الرئيسة التي تحمل كميات هائلة من المياه لتصبها في نهر دجلة. كما أن معدلات سقوط الامطار في القسم الشمالي بأكمله كافية تنمو الحبوب والبقول والبساتين على اختلافها مما دفع السكان الى الاعتماد على الزراعة الديمية خاصة وان الأراضي الزراعية المحيطة بشواطئ الانهار مرتفعة نسبيا عن مستوى المياه ومن ثم يصعب سقيها سيحاً بوساطة القنوات والجداول. وقد كان من نتائج ذلك ان ظلت القرى الزراعية المنتشرة في القسم الشمالي من العراق صغيرة ومعتمدة كلياً على مياه الامطار ومكتفية ذاتياً ، وما تصرفه من جهود لا يعدو حراثة وزراعة الأرض والانتظار حتى يحين موعد الحصاد ، لذلك لم تكن حاجة السكان ماسة لإيجاد طرق ورسائل لإدارة شؤون المجتمع تشمل عدداً كبيراً

من القرى ، بل اكتفت كل قرية او مدينة صغيرة بما لديها وعاشت بهدوء واطمئنان ، اما في القسم الوسطي والجنوبي من العراق، فإن معدل سقوط الأمطار كان ومازال غير كاف لأي نوع من انواع الزراعة لذا كان لابد للإنسان بعد أن استقر في هذا الجزء من العراق منذ الألف الخامس قبل الميلاد ان يعمل على ري الأراضي الزراعية بالطرق الاصطناعية فيشق الترع والجداول ويقيم الأسداد لتوجيه مياه الأنهار الى الأراضي المزروعة ، وقد ساعده في ذلك طبيعة الأراضي المحيطة بنهري دجلة والفرات حيث كانت منخفضة بالنسبة لمستوى المياه فكان بالإمكان منى القنوات والجداول من النهر وري سيحاً دون الحاجة الى وسائل اخرى لرفع منسوب المياه . وفضلاً عن ذلك ، فقد كانت المنطقة بأكملها مهددة بأخطار الفيضانات المدمرة والمفاجئة وكان على الانسان اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتصريف المياه الفائضة واقامة السدود ودرء اخطار الفيضانات وكان القيام بأي مشروع من مشاريع الري يتطلب جهوداً كبيرة تفوق جهود الأفراد والجماعات الصغيرة، وكان لزاماً على الأفراد والجماعات الصغيرة ان تكاتف وتتعاون وتعمل سوية الأراضي .

لتنفيذ مثل هذه المشاريع فظهرت الحاجة الى نوع من الادارات المركزية للاشراف على تنظيم تلك الجهود وتوجيهها بما يخدم مصلحة الجماعة فعمدوا إلى انتخاب واحد أو أكثر من بينهم للقيام بهذه المهمة وكان ذلك النواة التي تما منها أول انظمة الحكم. ولما كان السكان موزعين على المناطق المختلفة وكان توزيعهم يحدد بالدرجة الرئيسة وجود مصادر المياه الكافية لري الأراضي ، ونظراً لتعدد الأنهار وكثرة الاهوار والمستنقعات ، فقد تمت أكثر من إدارة مركزية واحدة في المنطقة، كانت كل منها نواة لقيام دولة مدينة.

صغيرة تتمركز حول احدى المدن الرئيسة وهكذا كان لطبيعة ارض العراق وانهارها ومناخها الأثر الكبير في نشوء أول انظمة الحكم في القسم الجنوبي من العراق منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد على اقل تقدير في حين تأخر ظهور هذه الأنظمة في القسم الشمالي من العراق عدة قرون.

٣- كثافة السكان :

تعتمد الحياة في وادي الرافدين بالدرجة الاولى والأساس على خصوبة التربة ووفرة المياه وحيث ان التربة متوفرة في معظم انحاء العراقي ولا سيما في سهله الرسولي ، فقد كانت مصادر المياه، اي الانهار هي التي تحدد توزيع السكان على المناطق المختلفة، ولهذا توزعت القرى والمدن على شواطئ الانهار. وقد كان من مميزات انهار العراق انها تنقل كميات هائلة من الطمى والغرين سنويا يترسب بعضها في قيعانها فتسبب بذلك مشاكل كثيرة منها ارتفاع قيعان النهرين دجلة والفرات عن السهل الرسولي مما يزيد في خطورة الفيضانات وقد يؤدي ذلك الى تدمير القرى والمدن ومنها تكوين الجزر الرملية في مجاري النهرين . كما كان من النتائج الخطيرة للرواسب تبديل الانبار تجاريها في عدد زمنية مختلفة الأمر الذي يدعو إلى هجرة السكان للمدن والبحث عن مستوطنات جديدة تقام على شواطئ مجاري الأنهار الجديدة.

وقد بلبل نهر دجلة بجراء بين المجرى الرئيسي ويجرى الدجيلة ثم عاد الى مجراه القديم ويدل الفرات جراء أكثر من مرة في أزمان مختلفة ومن الممكن تبع مواقع المدن القديمة المهجورة والواقعة الآن وسط ارض جرداء في حين كانت فيما مضى تقع على ضفاف النير مثل مدن نفر والوركاء رايسن وغيرها.

كما ادرك العراقيون القدماء منذ فترة مبكرة من العصور التاريخية خصائص النهرين الرئيسين دجلة والفرات الطبيعية وارتفاع وادي الفرات عن وادي دجلة في السهل الرسوبي ابتداء من منطقة الفلوجة – بغداد فاستغلوا هذه الظاهرة وشقوا الكثير من

الانهار والجداول من نهر الفرات باتجاه دجلة لري اراضي شاسعة تقع بين النهرين ويمكن مشاهدة آثار تلك الانهار والجداول واطلال المدن والقرى التي كانت قائمة على شواطئها. كما افاد العراقيون القدماء من بعض المنخفضات الطبيعية القريبة مثل منخفض الحبانية وهور ابي دبس.

وفضلاً عن ذلك ، فقد تركزت مواقع استيطان الانسان، ولاسيما في المدد المبكرة ، على ضفاف نهر الفرات، الذي كان اقل انحداراً . من نهر دجلة فكانت فيضاناته اقل عنفاً وتقلباً .

كما كان المشكلة ملوحة التربة اثرها في توزيع السكان وانتقالهم من منطقة الى اخرى فالمعروف أن زيادة نسبة الملوحة في العربة عن حد معين يجعلها غير صالحة للزراعة مما كان يضطر السكان إلى مجر المدن والقرى الانتقال الى مناطق اخرى اقل ملوحة وكانت نسبة الملوحة تزداد سنة بعد أخرى وتهدد السكان بقله خصوبة الأرض وكان من أسبابها حرارة الجو وزيادة تبخر الماء وعدم معرفة القوم بوسائل التصريف، أي البزل ، الذي ينبغي أن يكون ملازما لمشاريع الري . وان هذه المشكلة كانت وماتزال الى الآن تزداد بجسامتها وزيادة اخطارها ، وقد عدها العراقيون القدماء علامات غضب الآلهة عليهم ، كما ذهب بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنها كانت السبب في انتقال المراكز الحضارية في عصور فجر السلالات من الجنوب إلى الشمال تدريجياً.

**٤- التأثير النفسي:**

اتصفت البيئة الطبيعية في العراق ، ولاسيما في قسمه الجنوبي، بالقسوة والعنف.

فضلاً عن تباين مناخ المواسم المختلفة والتفاوت الشديد بين درجات الحرارة صيفاً وشتاءً ونهاراً وليلاً ، وتباين المناطق المختلفة التي يتكون منها العراق، فقد اتسمت فيضانات انهاره بالعنف والقوة وعدم الانتظام في المواعيد وعدم ملاءمة مواعيد

الفيضانات لمواسم الدورة الزراعية خلافا لما كانت عليه الحال في مصر المعتمدة على نهر النيل في حياتها. فالمعروف أن نهر النيل يتصف باطراد فيضانه وانتظامه وبأنه يحدث في وقت يلائم الدورة الزراعية، وكان من نتائج هذا العنف والقسوة في طبيعة وادي الرافدين ، ان اتصفت الحضارة التي قامت في السهل الرسولي بالعنف والتشاؤم والتوتر والتازم وتوقع المفاجات وطغت عليها الناحية العملية في الحياة ، وقد انعكس ذلك على نفسية الفرد العراقي ، في حين ان حضارة مصر قد اتسمت بالهدوء والطمأنينة والسيطرة على البيئة والتفكير بالخلود فيما بعد الموت .

**٥ – المعتقدات الدينية :**

اثرت طبيعة ارض الرافدين وقسوتها وصعوبة السيطرة عليها في معتقدات القوم الدينية وتصوراتهم واتجاهات تفكيرهم ، فجاءت القصص والاساطير الدينية مليئة بالصراع والاحتراب من اجل البقاء . كما شغلت العراقيين القدماء الحياة وقسوتها فلم يفكروا الا بها وبما تتطلبه من صراع وكفاح فلم يبلوروا فكرة واضحة عن الحياة الثانية بعد الموت بل ظنوا ان العقاب والثواب سيكونان في هذه الدنيا فقط خلافاً لما كانت عليه الحال عند المصريين القدماء الذين اهتموا اهتماماً بالغاً بالحياة الثانية وعدوها اكثر اهمية من الحياة الاولى ، وما تشييدهم الاهرامات الضخمة والمدافن الكبيرة واستخدامهم التحنيط للمحافظة على جثث الموتى الا أمثلة الاولى هذا الاهتمام.

**٦ – الحياة الاقتصادية :**

على الرغم مما امتاز به العراق من خصوبة تربته ووفرة مياهه ، الا أنه ، ولا سيما قسمه الجنوبي يفتقر الى المواد الأولية الضرورية لقيام ونمو الحضارة كالمعادن والأخشاب والاحجار على اختلافها ، وكان على العراقيين القدماء ان يستوردوا هذه المواد من البلدان والأقاليم المجاورة ، فنشطت التجارة الخارجية ونظمت القوافل

التجارية ووضعت القواعد الرصينة لمثل هذه التجارة . وقد أدى افتقار العراق للمواد المذكورة الى سعي الحكام والملوك على السيطرة على طرق المواصلات المؤدية الى مصادر هذه المواد ، فقامت الحروب والمنازعات بين الدول والمالك الصغيرة المتجاورة، وكان ذلك من اسباب توحيد الدول الصغيرة في دولة واحدة. مالبثت ان غدت امبراطورية واسعة تسيطر على جميع الطرق التجارية التي تصل بين البحر الاعلى (الأبيض المتوسط ) والبحر الاسفل ( الخليج العربي ) وهذا هو ماحدث في عهد الدولة الأكدية وعهد سلالة اور الثالثة وسلالة حمورابي وغيرها بل ان العراقيين القدماء، ولنقص المواد الأولية عندهم قد اقاموا لهم مراكز تجارية خارج العراق.